أما بالنسبة لمسألة التمثيل، فإن الكتاب يقرر ببساطة، ودون أية شواهد، أن المنزلة التمثيلية للمنظمة «ليست مقبولة لكافة الفلسطينيين أنفسهم. مثلاً أولئك الذين يعيشون في الأردن» (المقدمة). وعندما يعلن فلسطينيو الضفة الغربية أن م.ت.ف. تمثلهم، فلا تصدقوهم، ذلك أن هناك «ميولاً أقل بروزاً يقبلها الكثيرون ولكنها لا تظهر على السطح». ويحتاج الأمر بالطبع إلى باحثين جديين كالمؤلفين لينطقوا هذه الميول وينفخوا فيها الروح ليتبين أن «أعضاء منظمة التحرير هم من المنفيين واللاجئين الذين تركوا أراضيهم في عام ١٩٤٨. والأرض عنصر رئيسي في المجتمع العربي المحافظ، وبما أن اللاجئين بلا أرض فإنهم يعدون ذوي منزلة اجتماعية أدنى من منزلة الفلاحين في الضفة». وإضافة إلى ذلك، «فإن حمائل النخبة في الضفة الغربية تغار على ماضيها. أما غالبية قادة م.ت.ف. فهم من السهل الساحلي؛ حيث السكان مختلطون» (ص، ٧٣). لا شك أن هذه الحجج «السوسيولوجية» المزيفة التي تتخللها مقتطفات تورد على لسان مجهولين مثل «عرب الضفة الغربية» و«عربي تقليدي من نابلس» (للأسف لا يرد شيء على لسان سائق التاكسي الذي يقوّله المراسلون الصحفيون من الدرجة الثالثة عادة ما هب ودب) أدلة ناصعة على «الانضباط البحثي المنهجي» الذي يفرضه المؤلفان على نفسيهما.

وبالمثل، يصر المؤلفان على أن ايديولوجيا م.ت.ف. ثابتة لا تتغير ولا تنمو ولا تتطور، وتجد أوضح تعبير لها في الميثاق الوطني الفلسطيني كما عدّل عام ١٩٦٨. ولكن ماذا عن كل التطورات اللاحقة: فكرة وشعار الدولة الديمقراطية، النقاش حول البرنامج المرحلي، مقررات المجالس الوطنية؟ انها جميعاً «مصممة للاعلان فحسب ويقصد بها العلاقات العامة فقط. أما للاستخدام داخل م.ت.ف. نفسها فيستخدم توجه مختلف» (ص، ٥٥). ويصبح سخف هذا التأكيد واضحاً عندما يقرر المؤلفان أن «هذه الايديولوجيا الرسمية تقف عثرة في سبيل م.ت.ف. نفسها وتحول دونها وتحقيق أهدافها الرئيسية». فعدا عن أن قولاً كهذا يشي بافتقار كامل إلى فهم ما هي الايديولوجيا، لا يبذل المؤلفان أي جهد لتفسير ما يدفع المنظمة إلى «الابقاء» على ايديولوجيا لا تعجز عن خدمة أهدافها فحسب بل تناوئها أيضاً.

وليس من الصعب كذلك تبيان أن القسم الأخير من الكتاب وهو بعنوان: «القوى العظمى وم.ت.ف.» يسعى بالطريقة المتهافتة ذاتها إلى تصوير العلاقة بين م.ت.ف. والاتحاد السوفياتي على أنها علاقة يستخدم الأخير بها المنظمة أداة نافعة أحياناً ولكنها تكتيكية فحسب في كافة الأحيان. وبالمثل، يمكن بسهولة سوق عدد من المقتطفات التي لا يملك المرء حيالها إلا الابتسام الساخر، لكن المقتطف التالي يكفي: «طبقاً لعقيدتها الماركسية ــ اللينينية، قامت الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٩ بتشكيل حزبها الخاص بها وأسمته منظمة الاشتراكيين اللبنانيين»! (ص، ٤٦). بل أن هناك بعض الالتباس حول ما هو عنوان الكتاب، فهو يرد في بعض المواضع على أنه «م.ت.ف. الاستراتيجية والسياسة» وفي مواضع أخرى على أنه «م.ت.ف.: الاستراتيجية والتكتيك».

إن هذا الكتاب يشكل مثالاً صارخاً على جهود «أكاديمية» تفتقر إلى الفضائل الأكاديمية الأولية، وتعبيراً عما يبدو أنه أصبح تقليداً راسخاً في العلوم الاجتماعية الاسرائيلية: الأكاديمي مجرد خادم خنوع للحكومة.

لندن: **خليل هندي**